لا تفرقة على أساس اللون

«لقد التقيت بأناس يعدون بيضًا فى أمريكا، بل وتحدثت إليهم حتى تناولت طعامى معهم. ولكن موقف الرجل الأبيض كان قد تلاشى من عقولهم، بسبب هذا الدين (الإسلام)».

(مالكولم إكس/ مالك الشباظ فى رسالة من مكة)

ـ ١ ـ

نود هنا أن نتطرق إلى موضوع العنصرية؛ لأن هذا موضوع يتلهف المسلمون شوقًا إلى ناوله لما يثيره عندهم من غضب وشجون. ولكى تعرف السبب، فما عليك إلا أن تستقل طائرة تابعة لشركة لوفتهانزا الألمانية فى طريقها من إسطنبول إلى فرانكفورت، وستستمع إلى من يعلن عن وجود مراجعة لجوازات السفر قبل الوصول والهبوط من الطائرة، أى أن هذه المراجعة تتم فى الطائرة. وإنك لترى بعينيك أن حاملى جوازات السفر الألمانية وجميع الركاب الذين لا يدل مظهرهم الخارجى على كونهم عربًا أو أتراكًا يشار إليهم ليمروا بسلام. يطلق موظفو الأمن الأمريكيون على هذه العملية Passenger profiling، أى تحديد هوية الراكب من خلال وجهه، وبالتالى معاملته بما تستحق هويته هذه؛ لأنه يمكن أن يحدث لك ما حدث لى فى مطار شيكاجو؛ حيث فاتتنى الطائرة وأقلعت بدونى؛ لأننى كنت مضطرًا للوقوف فى أثناء مراجعة جوازات السفر خلف أناس ذوى مظهر عربى، أو لهم لحية، أو يرتدون غطاء الرأس.

ولم تكن هناك ضرورة لإعلان عام ١٩٩٦ «عامًا أوروبيًا ضد العنصرية»؛ لكى يتنبه الناس ويتذكروا أن العنصرية فى صورتها الشوفينية ـ مثلًا ـ قد عادت إلى الظهور فى العالم من جديد.

لقد أعلن هذا البلاء الذى عرفه القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عن عودته بقوة وشراسة أكثر. والنصيب الأعظم فى العالم الإسلامى يذوقه البوسنيون والأكراد والفلسطينيون والشيشانيون ومواطنو كوسوفا وكشمير.

لقد تم حُسبان اختفاء العنصرية نتيجة لعقلانية الحداثة، والتى لا تجتمع معها العنصرية،

أمرًا مفروغًا منه، ولكن ذلك أحد الوعود الكثيرة التى لم تف بها الحداثة. فما نراه اليوم من تفرقة ذات تسميات مختلفة، مثل القومية والنازية الجديدة وغيرها، ما هى إلا تقسيمات على لحن بدأ منذ عام ١٤٩٢ متمثلًا فى عنصرية دينية إثنية منظمة ضد اليهود والمسلمين. وهذه العنصرية ستصبح أحد مصادر شقائنا، وأحد الأخطار المهددة لنا فى القرن الحادى والعشرين، على الأقل فى صورة أساطير ذات مركزية أوروبية وتفرقة على مستوى العالم بين الحضارة الغربية والبرابرة الآخرين.

وهذا التطور لا يدعو إلى الدهشة إذا ما كان الإنسان واعيًا للعاملَيْن المؤثرين فى هذا الصدد: تؤثر انتماءات الإنسان العائلية وتوجهاته تأثيرًا كبيرًا من ناحية، ومن ناحية أخرى يتعرض الشعور القومى فى الأزمنة المختلفة لتغيرات تتخذ أشكالًا مختلفة فى التعبير. فالشعور الوطنى فى آخر الأمر ليس إلا فكرة الانتماء العائلى ممتدًا إلى القبيلة، ثم ما بعدها. وهذا الشعور سلوك طبيعى، يخدم عملية تأمين الفرد والحيوان. وتظهر الأمة نفسها فى صورة العائلة الممتدة أو العائلة الكبيرة. والولاء للرابطة التى تتيح لى التعايش الاجتماعى وتنمى حياتى وتؤمن سبل معيشتى هو فضيلة تحترم بلا شك.

والوجه الآخر لنفس هذه العملة مقبول ومعروف تمامًا، وهو أن الخوف والرعب من الغريب ـ الذى لم نعرفه أو نتعرف عليه بعد ـ هو فى جوهره رد فعل طبيعى، بل ضرورى. ويقول القرآن مشجعًا الإنسان لكى يتغلب على هذا الخوف فى سورة الروم: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾، وكما ورد فى سورة الحجرات الآية ١٣: ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾.

يعرض القرآن معترفًا بهذه الحقيقة صلة الدم والنسب التى تنتج عن الانتساب أو الزواج كقيمة تستحق الحماية، كما جاء فى سورة الفرقان: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ ﴾، وكذلك سورة النساء: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾، وهذا أيضًا بين الإخوة والأخوات الذين يؤلفون مجموعة دينية وجماعة إيمانية إسلامية، كما ورد فى سورة الأنفال: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ

وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾، والآية ٦ من سورة الأحزاب: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾.

والقرآن يقر أن أفراد العائلة قريبون بعضهم من بعض بصلات القربى وبها يتعلق بحقوق الميراث، وكذلك فى بعض النواحى الأخرى؛ لذلك أمكن لداريابادى مفسر القرآن أن يقول: إن علاقة القربى تُعَدّ أهم مؤسسة اجتماعية فى الإسلام.

ولكن كل جماعة متماسكة «in groupe» كما يطلق عليها علماء الاجتماع، تخلق «out groupe» مجموعة من الخارج لهذه المجموعة، هذا التحديد ضد الآخر الذى يمكن أن يؤدى إلى استبعاد الآخر. وهناك معايير تصلح لهذا مثل مكان السكن، والطبقة الاجتماعية، والخبرة التاريخية، والديانة، والجنس، واللغة (يكفى اختلاف اللهجة) وكذلك لون العينين، والشعر، والبشرة. وكلٌّ منا عضو فى إحدى الجماعات المتماسكة العديدة، أو فى أكثر من واحد منها، وببساطة نلحظ هذا إذا ما شاهد المرء منا مباراة كرة قدم وانحاز لفريق دون آخر. هذا السلوك البسيط والطبيعى من الممكن أن يتطور ليأخذ أشكالًا لمذابح يعجز اللسان عن وصفها، مثل «التطهير العرقي» الذى تعرض له المسلمون فى كلٍّ من البوسنه والهرسك وكوسوڤا. هذه الفظائع تشابه الأهوال والمطاردات التى لاقاها المسلمون واليهود على أيدى المسيحيين فى القرن السادس عشر.

لقد فاقت أعداد اللاجئين نتيجة أسباب دينية وعرقية فى النصف الثانى من القرن العشرين، أىّ أعداد أخرى مسجلة فى التاريخ.

قد تسمَّى القرن العشرون بحق: قرن اللاجئين والمشردين «displaced persons». ألا يجرنا كل هذا ـ من منطلق المسئولية الأخلاقية ـ إلى الحديث عن إبادة الهنود الحمر فى القرون السادس عشر إلى التاسع عشر، وأحوال العبيد من الزنوج فى الولايات المتحدة وصولًا إلى الحرب الأهلية هناك فى منتصف القرن التاسع عشر؟

هل العقائد السماوية الحقة قادرة على التغلب على الصراعات الإثنية، حتى وإن كان التاريخ يثبت عدم قدرة المسيحية على ذلك(*)، وكذلك لم يفلح الفكر الشيوعى العالمى المعادى للإمبريالية فى تحقيق هذا.

(*) بالطبع لم تقدر اليهودية المُمَارسة على ذلك، بل إن يهودية الشعب المختار والصهيونية هما نقيض المساواة والتغلب على الصراعات الإثنية ـ (المترجم).

ولذلك، فمن المهم أن نذكر أن الإسلام قادر فعلًا - وأنه كان دائمًا قادرًا - على تهميش العنصرية، إن لم يكن إزاحتها تمامًا. لقد تحقق هذا فى بدايات الإسلام عندما عرض بعض نفر من أهل يثرب (المدينة فيما بعد) على الرسول الهجرة إليهم، وعرضوا عليه الحماية فيما عرف ببيعتى العقبة الأولى والثانية عامى ٦٢١ و ٦٢٢. ولم يعرض عليه أهل يثرب مجرد الملجأ، ولكن الحماية والأخوة وانضمام المسلمين تحت قيادته السياسية فى مدينتهم التى تضم سكانًا من بينهم اليهود[(١)]، متغاضين بذلك عن الانتماء القبلى، مجتمعين فقط على الإيمان المشترك بدين واحد.

ولقد بدأ بناء أول كيان جماعى سياسى فى الإسلام بحادثتى بيعة العقبة؛ لأن بعد هجرة الرسول إلى المدينة، قام بها أول كيان سياسى يضم أناسًا يجمعهم دين واحد، متناسين جميع العناصر الأخرى التى تشكل انتماءات الإنسان للجماعة، من انتماء عشائرى وقبلى وعائلى ورابطة الدم. ولقد ذكر القرآن الرابطة التى ربطت المهاجرين بالأنصار وسماهم أولياء بعض، كما ذكر قرب الرسول من المؤمنين على أساس الإيمان المشترك، فجاء فى سورة الأنفال الآية ٧٢ عن علاقة المهاجرين بالأنصار: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ... ﴾ أما عن علاقة النبى بالمؤمنين، فتحدثنا سورة الأحزاب الآية ٦: ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ... ﴾.

وجاء فى الحديث الصحيح: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[(*)].

ولقد تخطى القرآن فى وصفه صلة الإيمان وقوتها إلى أن وضعها قبل الصلة العائلية؛ حيث ورد فيه فى سورة التغابن: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾.

ولذلك يُعدُّ اختيار أفضل الناس وتحديد أفضليتهم هذه على أساس التقوى سلوكًا إسلاميًا ومثالًا يحتذى، فالتقوى يتضاءل أمامها النسب والحسب والغنى وغيرها. ولذلك اختير بلال العبد الأسود لأن يكون أول مؤذن فى الإسلام، والعبد سلمان الفارسى أول وزير للمالية.

ولقد سار أمراء المؤمنين على نهج اختيار الأتقى والأفضل دون النظر إلى انتماءات عرقية.

---

(١) تجد شرحًا وافيًا للأحداث التاريخية لبيعتى العقبة عند جاى إيتون (٢٠٠٠)، ص: ٢٠٩ - ٢١١.
(*) البخارى [٥٠٩٠]، ومسلم [٥٣/ ١٤٦٦].

حتى فى عهد العثمانيين لم يكن معظم وزراء الدولة من الأتراك بل من الألبان، واليونانيين والكروات والشركس. ولم يكن الانتماء العرقى يؤدى دورًا مهمًا فى تولى مناصب حكم أو جيش، والمثال على ذلك صلاح الدين الكردى.

عاش شيخ التصوف ابن عربى القادم من الأندلس وعمل مكرمًا فى دمشق حيث مات. كما شهدت دمشق كذلك حياة الصوفى ورجل الدولة المناضل عبد القادر الجزائرى؛ حيث توفى هو الآخر هناك.

وبالنظر إلى كثير من الدول العربية والإسلامية القائمة اليوم، نستطيع أن نقول إن هذه الدول ـ وغالبيتها من صنع الاستعمار ـ لا تُعَدُّ دولًا قومية ذات أسس وطيدة. ونظريًّا، ما كان لهذه الدول أن تكون دول أصلًا.

أجمل تعبير للمساواة وانعدام التفرقة بين أفراد الأمة يتجسد سنويًّا فى الحج. يلتقى ملايين المسلمين فى مكان واحد يجمعهم إحساس بالمساواة والانتماء ووحدة الهدف، وقد أتوا من مختلف قارات العالم ليؤدوا فى ظل ظروف قاسية شعائر دينهم، يصلون معًا ويدعون معًا ويعيشون ويتناقشون معًا، فى تجربة فريدة من نوعها، حتى إنها استطاعت برقيها وسموها وما تتضمنه من كلِّ المعانى والدلالات النبيلة أن تحرر مالكولم إكس، هذا الإنسان النشط ذو البشرة السوداء، من عنصريته العنيفة البغيضة. فالحج هو أكثر الأعمال تأثيرًا فى إنهاء أىِّ فكر عنصرى، وأقدر الأفعال على مواجهة العنصرية.

لقد عاينت مثل هذا الموقف، أى أن تتلاشى العنصرية بفضل الدين، ولكن ليس فى مكة بل فى سان فرانسيسكو عام ١٩٨٥ . فلقد عهدت إلىَّ جماعة من المسلمين السود أن أؤمهم فى الصلاة... أنا الوافد حديثًا ذو البشرة البيضاء، ولكن لم يكن ذلك يمثل أهمية، فقد اختارونى؛ لأنهم رأوا أننى أكثر منهم علمًا.

وهذا الفكر هو الذى جعل فى إمكانية المسلمين إصلاح العلاقات والنفوس المريضة فى الجيتو، أى المناطق المغلقة على السود فقط، والتى تضج بالمشكلات مثل المخدرات والعنف، وكذلك الوضع فى جنوب إفريقيا.

وهناك مثال رائع فى ماليزيا لتعايش الملايويين والصينيين والهنود بعضهم مع بعض فى سلام، وكلٌّ محتفظ بلغته وملبسه وتقاليده وطعامه ودينه، كل هذا بفضل الإسلام الذى يحارب العنصرية.

يستطيع المسلمون أن يقولوا ويفخروا أنه بالرغم من رفضهم للصهيونية وللتوسع الإسرائيلى، فإن بلادهم لم تشهد على مر التاريخ إلى يومنا هذا أىَّ عداء للسامية. ولا يعود هذا إلى أن العرب أنفسهم ساميون، ولكن لأن القرآن يطالب كلَّ مسلم باحترام غيره، خاصة من أهل الكتاب.

فالإسلام لا يكتفى برفض الإجبار بكافة صوره فى مسائل الإيمان فقط: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ولكنه كذلك يحمى ويضمن لجميع الديانات الأخرى وجودها وأمنها، كما ورد فى الآية ٤٨ من سورة المائدة ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾.

لقد وضحت فى مقدمة حديثى أن جذور العنصرية تضرب بشدة فى النفس البشرية، لدرجة أن الإسلام فى واقع الأمر وبالممارسة (وليس النظرية) لم يستطع إبادتها تمامًا والقضاء عليها القضاء المبرم. والادعاء بعكس ذلك يعادل الادعاء بأن الإسلام تمكن من استئصال الشر كله من العالم.

فمنذ البداية، عند اختيار الخليفة الأول للمسلمين بعد وفاة الرسول عام ٦٣٢، كان من الواضح أن المهاجرين يتوقعون أن يسلم الأنصار بأحقيتهم ـ أى المهاجرين ـ فى أن يكون الخليفة منهم، ولقد كان، فتم اختيار أبى بكر ليكون الخليفة الأول.

ثم تحول أمر الخلافة إلى بقاء الحكم ضمن طبقة من النبلاء القرشيين، حين توارث الأمويون الخلافة. سبق قيام الخلافة الأموية نزاع طويل بين الإمام على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين ومعاوية بن أبى سفيان. وكان وراء هذا الصراع أسباب ليست بالفقهية، ولكن الصراع كان شكلًا جديدًا للصراع القبلى، فلقد امتد منذ ظهرت النبوة فى بنى هاشم ـ وغيرة بنى أمية وكبيرها أبى سفيان ـ حتى الصراع الذى انتهى باغتيال الإمام على؛ حيث لم يقبل بنو أمية أن يكون من بنى هاشم الرسول والخليفة.

أما العباسيون الذين أزاحوا الأمويين عن الخلافة وأقاموا خلافتهم، فلم يختلفوا كثيرًا عن الأمويين فى أمر من يتولى الخلافة؛ لأنهم وإن بدت حركتهم حركة دينية ثورية، إلا أنهم تمسكوا بأن يكون الخليفة من قريش، وعلى وجه التحديد من بنى العباس. ولقد امتد هذا التقليد حتى دخول سليم الأول القاهرة، وادعى لنفسه لقب الخليفة بالإضافة إلى احتفاظه بلقب السلطان.

تعرضت مسألة مساواة البشر فى تاريخ الإسلام لتساؤلات عديدة، خاصة بعد التوسعات

الهائلة التى شهدتها الدولة الإسلامية، ودخول العديد من غير العرب فى دين الإسلام. أولئك الذين عُرفوا باسم «الموالى». ولقد عانى هؤلاء كثيرًا من كونهم مسلمين درجة ثانية، أى درجة أدنى من المسلمين العرب، ولقد ظهر هذا فى تقسيم الغنائم ودفع الضرائب. ولقد ثار الموالى على هذا الظلم الواقع عليهم والذى يتعارض تمامًا مع تعاليم الإسلام، وقاموا فى القرنين التاسع والعاشر بحركات تمرد معادية للعرب عرفت بالشعوبية.

هذه الحركات لم تمت كليًّا بين المسلمين الذين لم يقبلوا أن يتميز العرب عن سائر المسلمين، أى أن تكون هناك تفرقة عرقية.

لقد استخدم ابن خلدون فى مقدمته الشهيرة كلمة «عصبية»؛ ليعبر بها عن شعور شعوبى قوى بالانتماء، هذا الشعور الذى يجمع حوله الكثير من المجموعات المختلفة فى العالم الإسلامى، وكان رأيه هذا نتاج ملاحظات موضوعية واقعية كثيرة.

ولا نستطيع أن ندعى بطبيعة الحال عدم وجود مشكلات طبقية بين السكان الأصليين لشبه الجزيرة العربية فى المنطقة الواقعة بين الخليج والبحر الأحمر وبين العاملين فى هذه البلاد من الجنسيات المختلفة.

وكثيرًا ما تستمع لشكوى مسلمين أوروبيين وأمريكيين حديثى الإسلام من عدم الثقة التى يتعامل بها المسلمون العرب معهم، سواء كان هذا داخل الوطن العربى أو خارجه، ولكن ربما يرجع هذا السلوك لتخوفهم من عدم إلمام المسلمين الجدد بالعربية، وبالتالى ألا يكونوا على دراية وافية بالإسلام، وليس تعبيرًا عن العنصرية.

ومن الجدير بالذكر أنه لم يسلم من هذا الشك محمد أسد نفسه (بسبب جذوره الأوروبية - اليهودية) وهو علاّمة فى اللغة العربية، ولكنه كان مضطرّا برغم إنجازاته العلمية فى سبيل خدمة الإسلام، للكفاح الشاق حتى يحصل على الاعتراف به.

فقُدِّر على بعض المسلمين الغربيين أن يكونوا كالموالى فى عهود الإسلام الأولى.

ومن هذا العرض نرى أن العنصرية تحاول دائمًا التسلل من الأبواب الخلفية، خاصة إذا كان الرفض لها قويًا فى الواجهة.

لذلك لا يصح للمسلمين أن يركنوا إلى أن دينهم يحرِّم العنصرية، ولا أن يعتمدوا على الكثير من المهارسات الرافضة لهذه العنصرية فى تاريخهم، بل عليهم العمل على إزالة الواقع منها، ومنع حدوثه وفقًا لما يدعوهم إليه دينهم.

- ٢ -

بالنظر إلى الطبيعة البشرية والتى تميل إلى الضعف، لم يكن من الممكن تفادى تلطيخ ثوب العالم الإسلامى ببعض البقع العنصرية. ولكن هذا العالم الإسلامى يوفر - من منطلق النظرية وبدرجة كبيرة من خلال الممارسة - صورة ممكنة للحياة الرافضة للعنصرية. وهذه رسالة موجهة إلى كاتالونيا، إقليم الباسك، والبلقان، ولكن ليس لهؤلاء فقط، ولكنه نموذج يصلح لجماعة الناس فى العالم أجمع، لجماعة يحكم التعامل فيما بينها ومع سواها عنصر واحد فقط هو الإيمان بالله والتسليم له، وأن نتغاضى ونترفع عن كلٍّ العناصر الأخرى. وإننى هنا أردد قول جيفرى لانج المسلم الأمريكى: «إن الإسلام وإن لم يستطع استئصال شأفة الأحكام المسبقة ذات الطبيعة العنصرية، إلَّا أنه لا يقرها. وعندما يمارس المسلمون العنصرية أو يقرونها، فإنهم يعلمون علم اليقين أنهم يرتكبون إثمًا كبيرًا، ويخرجون بذلك عن تعاليم دينهم. إننى أعتقد أن النجاح لم يحالف أيًّا من الديانات العالمية الكبرى فى حربها ضد الأحكام العنصرية المسبقة مثلما حالف الإسلام»[٢].

ومن يتشكك فى ذلك، فليلق نظرة على أىٍّ مركز إسلامى يختاره فى ألمانيا؛ حيث يتعامل التركى والشمال إفريقىٍّ والفلسطينى والسورى والمصرى والبوسنى والألبانى والألمانى بود وحرارة، ويتناسى كلٌّ منهم اختلاف جنسيته عن الآخر.

ولذلك، فإننى لا أرى من قبيل المبالغة أن أنهى حديثى هذا بأن أقر أن الإسلام الحق الذى يمارسه المسلم فى الحياة بشكل سليم (هذا الإسلام الذى يحمله المسلم فى قرارة نفسه) إنما يمثل النقيض للشوفونية والعنصرية.

* * *

(٢) لانج (١٩٩٧)، ص١٥٤.